دراسات فى الفن

أعوذ بالله إنه « مكياج » !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— ما هذا التخطيط ؟ أردت بالأمس أن تلحن فأخفقت ، واليوم تصور وتريد أن تكون رساماً ؟

— أبعدتمونى عن الألحان وقلتم كلاماً معناه : « أسكت » ، فهل تريدون اليوم أن تخطفوا من يدى الريشة فلا أصور . . . خذوها أيضاً !

— لا تغضب ولكن لا تغضب ، وارسم وسنرى فى رسمك رأياً .. فما الذى تريد أن ترسمه .. فكرة ؟ أو إنسان ؟ أو عاطفة ؟ أو عاصفة ؟ ...

— لا لا ... إنسان ، كل ما أعرفه عنه هو أنه « كاتب من الكتاب » كتب فصلاً فى عدد الرسالة الأخير يوازن فيه بين بين نفسه وبين سيدنا أيوب

— إذن فستكون صورته أشبه الصور بالصورة التى نتخيلها لسيدنا أيوب

— لا . . بل ستكون صورة أخرى . لأن هذا الكاتب نفسه أراد أن تختلف صورته عن صورة أيوب اختلافاً كبيراً

— وأنى لك ذلك ؟

— من كلامه هو فهو يقول : « أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين ، وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أضاع الله من أضاعونى ! وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رنان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان ، وأنا لا أملك معاتبة ربى بسطر واحد خوفاً من رئيس التحرير ، وخوفاً من شيخ الأزهر ، وخوفاً من محكمة الجنايات ، وأين بغيمة أيوب فى دنياه من بغيمتى فى دنياى ؟ كان الدينار لعهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا فى عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود » ... وهو قبل ذلك يقول للذين أضاعوه — فيما يظهر — « لقد أفلحتم فى زعزعة اليقين الذى كنت أفزع إليه حين تكرثنى صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جنت أيديكم ؟ وأين السبيل إلى ترميم البناء الذى كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذى أزعتم به فؤادى ... ؟ » فهلا ترين أن هناك خلافاً بين الذى يقول هذا الكلام وبين أيوب ؟

— أنا لم أقرأ سفر أيوب

— هو رجل أعطاه الله كثيراً ، فابتلاه الله ، فصبر ، فرفع الله البلايا عنه وفاز . فاختارى له ما تشائين من صوره ، وانظرى معى فى هذه الصورة الجديدة فقد يحتمل أن تشبه إحدى صور أيوب

— وأين هى الصورة ، فإنى لا أرى فى الورقة غير خطوط

— الصورة لا تزال فى الغيب وسنستدرجها معاً ... ولنبدأ بتصوير الرجل الذى فقد الثروة والعافية واليقين ... هذا الرجل ما مظهره ؟ وكيف نرسمه ؟

— نرسمه أول كل شىء فى أثواب من فقد الثروة ، وهى ليست أنيقة ولا غالية ، وهو بعد ذلك هزيل ضعيف لا قوة فيه ولا صحة ، ولا بد أن تظهر الحيرة فى عينيه ما دام قد فقد اليقين . وقد يكون بدل الحيرة جزع ، وقد يكون بدل الجزع حذر ، وقد يكون بدل الحذر قسوة ، وقد يكون بدل القسوة غيرها من سائر النزعات التى تستولى على من فقد اليقين ...

— بعد أسبوع واحد سأنشئ أنا وأنت استوديو نصور فيه المفاريت ... وما رأيك فى قوله : أضاع الله من أضاعونى ؟ أهى كراهة منه لمن أضاعوه فنرسمها على وجهه ، أم هى اعتذار عن فقدانه الثروة والعافية واليقين ؟ ... فهو يريد به أن ينفر الناس له مظاهر هذا الفقدان ؟

— أظنها كراهة ، وأظن هذا الرجل مجنياً عليه ، وأظنه لو تمكن من الذين أضاعوه لأضاعهم . . .

— وأنا يخيل إلى أن قوله هذا لا هو كراهة ولا هو اعتذار

فقد نسيت أن أقرأ عليك من كلامه قوله للذين أضاعوه : خذوني إليكم في ملاعبكم وملاهيكم ؛ عساني أنسى جاذبية البؤس في صحبة قلمي وكتابي !

— عجباً ! ... فهو إذن لا يكره الذين أضاعوه ، وإنما يريد أن يكون معهم . فلترسم إذن على وجهه شيئاً من الغيرة ... أو لعلها سخرية ...

— سخرية ممن ؟ من الذين يريد هو أن يكون معهم ؟ لا . ليست سخرية . وهو بعد ذلك يريد أن يعاتب الله الذي هو الله معاتبة لا تكون إلا من صاحب حق عند نائل منه ، ومع هذا ، فهو يخشى رئيس التحرير ، وشيخ الأزهر ... فكيف نرسم الرجل الذي له حق عند الله ، وعلى علمه بهذا يخشى الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وفضيلة الأستاذ المراغي ... كيف يمكن أن تتصور هذا ؟ إني لا أتصوره !

— ولا أنا !

— ولا أي إنسان ، فأولئك الذين يقرضون الله ، ويعطون الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهم يعرفون هذا من تلقاء أنفسهم لأنهم يعرفون الله ويعرفون أنهم يقرضونه ويعطونه ، ويعرفون من هو الله ، ومن إلى جانبه رئيس التحرير وشيخ الأزهر ...

— إذن فأنت تريد أن تقول إنها ناحية مبهمة في الصورة ...

— بل أقول إنها مكياج . وإنها تشبه دعاءه على الذين أضاعوه في الوقت الذي يريد فيه أن يكون مع الذين أضاعوه في ملاعبهم وملاهيهم ...

— فكأنه لا أعطى الله ولا أقرضه ...

— الله أعلم ... وهو يحسب لأيوب من النعمة أنه ظفر بالخلود في عالم الفكر والبيان لما عاتب ربه بقصيد رنان وهو في أمان من ثورة الجمهور ... فما الذي يبديه هذا الإحساس في وجهه من الأمارات ؟

— أمارات الفكر ، لا شك ، وعلامات عشاق الخلود ...

— كلا . فلو سئل أيوب أن يتحدث مرة أخرى عما نال من نعمة الله في عتابه ربه ، لذكر أنها هدى ربه ، ولما ذكر بيانه ولا قصيده ولا فكره ، فما كان أيوب يسعى إلى كلام ينمقه فيحفظه الناس عنه ويروونه له بعد موته ، وإنما كان أيوب يتجه إلى الله يطلب منه أن يصلح نفسه ، وأن يكشف له عن حكمته فيما ناله من بلوى استعذبها وصبر عليها ... فأيوب الذي كانت هذي هي نفسه هو الذي تبدو عليه أمارات الفكر لا شك ، وعلامات عشاق الخلود

— فكياج هذه أيضاً ؟

ولم لا ... هذا مقال ظهر في رأس السنة ، ورأس السنة عيد يتنكر فيه أصحابه لهواً وعبثاً . . . فلنمض مع صاحبنا هذا ، فإنه من غير شك لذيذ ...

— وهبك وصلت إلى تصويره حقاً ... فهل تجرؤ على نشر صورته ، وهو رجل لا تعرفه ، وقد يغضب عليك وأنت أحوج ما تكون إلى عطف الناس لا إغضابهم ...

— ولماذا يغضب «أيوب الثاني» من كلمتين يقولهما كاتب صغير مفضوح مثلي ... إنه لو غضب لأكد غضبه لنفسه ما أدعيه من أن صورة أيوب التي يريد أن يرسمها على نفسه إنما هي مكياج ...

— إذن فامض هداك الله ، وهداه معك ، وهداني معكما ...

— آمين . لو كنت قرأت سفر أيوب لكنت رأيت فيه أن أيوب لم يتفجع من فقدان الثروة إلا على أنه مظهر من مظاهر غضب الله ... ولكن أيوب الثاني هذا الجديد يذكر الفجيعة في الدنيا على أن أفجع ما فيها هو أنها أصابت دنياه فيقول : « وأين فجيعة أيوب في دنياه من فجيعتي في دنياي ؟ » فبأي الصور تتصورين أيوب الثاني ...

— بصورة الرجل الذي تهون فجيعة أيوب في دنياه إلى جانب فجيعته فيها ... وأيوب على ما أظن فقد في الدنيا من الفقر والمرض الخبز وأدنأ ما يسد الرمق ، كما فقد الملبس وأهون ما يستر الجسد .

— فهل تظنين كاتباً من الكتاب الذين يكتبون لمجلة رائجة مثل الرسالة تصل به الحال إلى هذا ولا يعاونه صاحب الرسالة وكتابها وقراؤها ولو برغيف وبنطالون ؟ أنا لا أظن ذلك ... وهذه أيضاً مكياج ...

— إن الرجل يتكلم كلاماً يعتمد فيه على النسبة بينه وبين أيوب ، وزمانه وزمان أيوب ... فأيوب نبي ، وعاش في عصر أوفر رغداً من عصرنا ...

— وهذا هو الذي يقوله هو ... ولكن لا تنسي أنه يوازن بين نفسه وبين أيوب من ناحية واحدة فقط ، وهي هذا الشقاء الذي

يفرض أنه قد نسيه ، وينسى بعد ذلك لأيوب بقية نواحيه وأولها أنه لم يكن يعرف « المكياج » وهى ناحية أساسية فى أيوب وفى كل من يريد أن يكون كأيوب .

— فلندع هذه أيضاً ...

— ولنر إلى قوله إن الدينار والدينارين ...

— لا لا ... فلندع هذه ... فإن الكاتب من الكتاب الذى يشعر بأن الإنسان يهان فى هذا العصر إذا اكتفى بالدينار فى اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار فى اليوم أو اليومين ... كان الله فى عون الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار فى الأسبوع أو فى الشهر أو فى العام ... إن هؤلاء هم الأيوبون

— بعدها يا سيدتي قوله : ومن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ فهو لا يسجل على دهره الرزايا إلا إذا سلطه على الدهر أحد ، على الرغم من قوله إن الدهر أوجعه وأشقاه ... فكيف نصوره أمام الدهر ؟

— لو كان خائفاً من الدهر لكان قد سكت على الدهر ولم يناوشه ولم يصارحه العداء ، ولو كان هاجماً على الدهر لما عبأ بالدهر ولما طلب الذى يسلطه عليه ويمكنه منه ، فلا هو خائف ولا هو هاجم ...

— فإما يكون إلا أنه صاحب سياسة مع الدهر حكيمة فهو لا يهاجمه على الرغم من عدائه له انتظاراً لمن يسلطه عليه ؟ ...

— ولكنه على هذه الحكمة يصارح الدهر بالعداء ... وليس من الحكمة فى شىء أن يصارح الإنسان عدوه بالعداء وهو عاجز عنه خائف منه ...

— فهذه الحكمة أيضاً مكياج أو هذه الصراحة هى المكياج . . والله أعلم ... على أنه قد خطرت لى الآن صورة مضحكة قد يجتمع فيها ملامح هذا الاضطراب كله : فى الريف عندنا ناس يسلطهم الأعداء على أعدائهم ... فيكرهون ويعادون ويحاربون ويقهرون ؛ تبعاً لما يوحى به إليهم من يسلطهم . . . وهؤلاء من كثرة تدربهم على التسلط والتسليط أصبحوا يتساهمون فيما ينالهم هم من الأذى فلا يأخذون بالثأر لأنفسهم ولا يستردون حقوقهم ، لأنه لا أحد يسلطهم إلا على أعدائه هو لا على أعدائهم هم ... فما رأيك ؟

— ولكن هذه لا يمكن أن تكون صورة كاتب من الكتاب

— إنى قلت ذلك ... فالمفروض أن الكاتب من الكتاب له رأى خاص وكيان خاص وتفكير خاص ؛ وهو يموت ولا يحتمل أن يسلطه إنسان على شىء ...

— ولكن كيف ذكرت الريف وأنت لست منه ولم تحل به إلا خطفات ؟

— لعل الذى دفع صورة الريف إلى ذهنى هو قول صديقنا : وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود ... فالأمر الذى لا شك فيه هو أن ذكر الأرض يكثر على ألسنة الريفيين .

— ولكن الرجل ذكر بعد الأرض البحار فقال إنها كانت مصادر خيرات ، وذكر السماء وقال إنها كانت مساقط غيث ومذاهب نسيم وهذا هو ما يدعونى إلى القول بأنه كاتب من الكتاب يزن الكلام ويوازن المعانى ، أفكنت تريدين أن يسكت عند ذكر الأرض فقط فتكون منه هذه هى الواحدة التى يهمل فيها « المكياج » ؟ إنه كاتب من الكتاب ... وهو إلى أنه كاتب يرى نفسه مجاهداً ، وكان يجب أن تكون الأرض بلا حدود ولا رسوم لينال منها المجاهدون — وهو منهم — ما يشاء كيف شاء ... إنه يريد الأرض ويريد أن ينال ... والآن أرشدينى وقولى لى كيف تكون صورة هذا الكاتب الصديق ... هل تستطيعين أن تبحثى لى عن « موديل » له أرسمه ...

— لا ...

— وأنا قد بدأت واعترفت بالعجز ، ورسمت هذه الخطوط التى رأيتها فى الورقة فلم ترضى أن تقرى فى البدء بأنها صورة إنسان ...

— ولكن هذا الذى رسمته يا شيخ ليس صورة ما . أعوذ بالله

— هى صورة ، ولكنها مرسومة بالأسلوب « المودرن » ... وكم أحب أن أعرف رأى صاحبها فيها من غير غضب وعليه منى السلام ومن الله الرحمة والبركات .

عزيز أحمد فهمى

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور سامى فريد شغلد فرع القاهرة بعمارة روفيه شارع ٤٦ شارع الموسكى تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع أمراض الزهرية والتناسلية والعقم عند الرجال والنساء وعجز الشباب والشيخوخة البكرة . ويعالج بصفة خاصة بطريقة الأشعة الطرق الحديثة العالمية والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . ملاحظة : يمكن إعطاء نتائج بالرسالة للتشخيص بمعرفة أحد الأطباء بعد أن يجيب على أسئلة البكتريولوجية المختصة على ١٥٠ سؤالا التى يمكن الحصول عليها بكتابة أو تليفون